**الحاج عويس يروي ذكرياته عن حرب فلسطين

الحاج عويس عبد الوهاب

- كسرنا الحصار عن الجيش فكرَّمونا ثم اعتقلونا!!

- الابتلاءات والاعتقالات الآن أكثر والأجيال الحالية ثابتة

- ردَّني الإمام البنا عن السفر إلى فلسطين فأقنعته وأجازني

- حزنت لاغتيال الإمام البنا أكثر مما حزنت لفقد والدي

- صُمْتُ رمضان وعمري 5 سنوات ومع الإخوان له طعم آخر

حوار- نورا النجار:

ما بين طفولة قاسية وشباب ذاخر بالنشاط الدعوي والجهادي والسياسي وكهولة كانت- وإلى عهد قريب- مليئة بالحيوية والنشاط لرفع راية الدعوة.. كانت هناك ذكريات وأحداث حفرت مكانها في ملامح ذلك الوجه ذي القسمات البسيطة لتسطِّر لنا ملحمة جهادية ودعوية قلَّما نجدها في زماننا الآن.

وبذاكرة قوية لا تتناسب وسنوات عمره التي شارفت على التسعين عامًا، بدأ الحاج عويس عبد الوهاب الخطيب أحد رجالات الرعيل الأول لجماعة الإخوان المسلمين يَروي وبلا توقف أحداثًا رَبَا عمرها عن ستين عامًا.

الحاج عويس من مواليد 31/6/1920م بقرية إدفا محافظة سوهاج، أي أن عمره الآن تسعة وثمانون عامًا حسب التاريخ الميلادي، وواحد وتسعون عامًا حسب التاريخ الهجري، حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة، والتحق بتحضيرية المعلمين عام 1935م، وكان الأول على أقرانه الذين بلغ عددهم 400 دارس، تخرج فيها عام 1940م، وتم تعيينه مدرسًا بمدرسة برديس الابتدائية بسوهاج، ومكث فيها عامين ثم انتقل إلى مدرسة البلينا النموذجية.

وبكل قوته وحماسته، وبكل لهفتنا وشغفنا بدأنا معه حديث الذكريات.

\* في البداية.. كيف بدأت علاقتك بجماعة الإخوان المسلمين؟.

\*\* أثناء دراستي بالقاهرة لم أتعرف على الإخوان، وكنتُ على صلة بحزب "مصر الفتاة"، وكنت أخرج في المظاهرات المنادية بالاستقلال وإلغاء وعد بلفور، وفي إحدى مطاردات الإنجليز لنا قفزت من الترام أثناء سيره فأصيبت ركبتي جرَّاء دخول قطعة من أسفلت الطريق بها.

وكان أول اتصال لي بالإخوان بعد انتقالي إلى مدرسة البلينا حيث التقيت بالأخ محمد حسام الدين الذي اعتنى بي في أول أيامي بالمدرسة وأحسن وفادتي، وكان ذلك الأخ مُعايشًا للناس، محبوبًا منهم، وقد أنشا أول شُعبة للإخوان في البَلْينا فانضممتُ إليها، وبعدها أنشئت جوالة الإخوان واختاروني زعيمًا لها.

\* ندخل في الحدث غير العادي في تاريخ جماعة الإخوان المسلمين.. كيف بدأت علاقتك بالنظام الخاص؟.

\*\* بعد اختياري زعيمًا للجوالة أصدر الإمام حسن البنا أوامره للأخ محمد العدوي بالانتقال إلى سوهاج، وأثناء تفقُّد العدوي جوالتنا تم اختيار خمسة من الإخوان كنت من بينهم للعمل في النظام الخاص.

\* وماذا عن طبيعة دور النظام الخاص في هذه المرحلة؟.

\*\* النظام الخاص أنشأه الإمام البنا لمقاومة العصابات الصهيونية في فلسطين والاحتلال الإنجليزي في القنال، وقد ذهبت مع إخواني وقتها وبايعنا الإمام وكان معه الشهيد إبراهيم الطيب الذي أعدمه عبد الناصر فيما بعد.

\* كيف خضتم حرب فلسطين 48؟ وكيف كانت لحظاتكم الأولى هناك والظروف المحيطة وقتها؟.

الإخوان أبلوا بلاءً حسنًا في حرب فلسطين 48

\*\* في ذلك الوقت أصدر الأخ محمد العدوي أوامره بأن تكون شُعبة "البلينا" مقرًّا لتدريب الراغبين في الجهاد، وعملت مع أخوَيْن آخرين على جمع التبرعات وشراء الأسلحة، والتي كنا نحصل عليها من مزارع القصب والبلدان المتاخمة للجبال بمحافظة أسيوط، وقمنا بالتدريب عليها، إضافةً إلى التدريب على صنع القنابل اليدوية والحارقة وصنع الألغام.
وقد استشار المركز العام للإخوان النقراشي باشا وزير الداخلية ورئيس الوزراء في ذلك الوقت في مسألة خروج الإخوان للجهاد في فلسطين فقابل الأمر برفض شديد؛ تخوفًا من هواجسَ زرعَها المستعمر في نفوس رجال القصر بأنه لو استطاع الإخوان تحرير فلسطين فسيعودون منها للإطاحة بالملك فاروق.

\* وهل رضخ الإخوان لهذا القرار؟.

\*\* بالطبع لا؛ فقد تسللت مجموعات من شباب النظام الخاص إلى سيناء ومنها إلى غزة وعسكروا في "البريج" و"النصيرات" بعد أن أجلاها الإنجليز.

\* وماذا عن أولى معارككم هناك؟.

\*\* كانت أولى معاركنا في قرية "كفار ديروم" بقيادة الأخ الشهيد يوسف طلعت الذي أعدمه نظام عبد الناصر فيما بعد، وسقط في هذه المعركة أكثر من 14 شهيدًا، إلا أن الله نصرنا فيها، وبعد علم حكومة الانتداب أصدروا أوامرهم إلى النقراشي بإنذار المركز العام لسحب قواته، والذي رفض بدوره الأمر؛ لأن الانسحاب من ساحة الجهاد أمر مخالف للإسلام، وهو ما دفع النقراشي إلى إغلاق الحدود ومنع الذخيرة والمؤن عن شبابنا هناك، لكن هذا لم يَفُتَّ في عضد الإخوان، فسافر 600 من شباب النظام الخاص إلى سوريا، وعلى رأسهم محمود عبده لإكمال تدريباتهم القتالية، ومنها إلى فلسطين، مسجلين بطولات لم يسبقهم إليها أحد، ومحافظين على عروبة الخليل والقدس وبيت لحم.

\* وماذا كان دور المؤسسات والهيئات العربية في هذا الوقت حيال هذه الأحداث؟.

\*\* الدور البارز في تلك الفترة كان للجامعة العربية، والتي شكَّلت كتيبةً بقيادة الضابط البطل الشهيد أحمد عبد العزيز، وكان 90% منهم من الإخوان المسلمين، ولم أستطع الانضمام؛ لتكليف الإخوان لي بتدريب المجاهدين وشراء الأسلحة إلى أن وقعت حادثة غيَّرت مجرى حياتي تمامًا.

\* ماذا حدث؟.

\*\* حينما قام المجرم رابين ببقر بطون النساء الحبالى في فلسطين لم أطق صبرًا، فسافرت إلى المركز العام طالبًا الإذن من الإمام بالسفر، فسألني: هل أنت متزوج؟. قلت: نعم. فقال: نحن نفضِّل العُزَّاب للجهاد، أما المتزوجون فلْيَبقوا لرعاية أسرهم.

لحظتها ألهمني ربي الجواب فقلت: يا إمام.. والله ما سمعتك ذات مرة في محاضراتك ولا أحدًا من قيادات الإخوان قال: انفروا عُزَّابًا ولا تنفروا متزوجين، بل قلتم ما قاله المولى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ (التوبة: من الآية 41)، فما كان منه إلا أن سمح بسفري.

على أرض فلسطين

\* صِفْ لنا اللحظات التي وطئت فيها قدمك أرض فلسطين المباركة، وكيف كان شعورك وقتها؟.

\*\* وصلت عصر يومٍ فتح الله فيه على إخواننا بدخول "كفار ديروم" بعد معركتين قاسيتين استشهد في الثانية منهما سبعون من إخواننا، وعُهِد بتدريبي إلى الأخ محمد علي من أبناء محافظة الشرقية، وقد مكثت سبعة عشر يومًا للتدريب؛ بعدها خرجت للجهاد.

\* ألم تشعر برهبة الموقف وقسوة العيش هناك؟.

\*\* من رحمة الله بي أنني تعوَّدت من صغري على شظف العيش؛ فقد تربيتُ في كنف زوجة أبي التي كثيرًا ما كانت تغري والدي بطردي خارج المنزل، فكنت أبيتُ وسط الأفاعي والفئران في الحقول، واعتدت على أكل نبات "الرجلة" كطعام إفطار لي، وكأنه إعداد مسبق من الله لي، فكان الإخوان يدفعون بي في المهام الشاقة.

\* وماذا عن المعارك التي خضتها بنفسك؟.

الحاج عويس خلال مظاهرة لتأييد المقاومة الفلسطينية

\*\* بعد المعارك السابقة أنشأنا خطوطًا أمامية، فرد الصهاينة ببناء نقطة مراقبة مرتفعة، فتم تكليفي بقيادة عشرة من الإخوان لتدمير هذه النقطة، فقمنا باستقلال مصفحة كنا قد غنمناها من إحدى المعارك ودمَّرنا هذه النقطة، وقد كانت أولى مهامي كقائد.

وقتها جُنَّ جنون الصهاينة فهاجمونا بكل قواتهم الموجودة، وأذكر أنهم ألقوا علينا 70 دانة من الهاون، إلا أن الله نصرنا عليهم.

\* وما هي أصعب مهمة مرت عليكم طوال هذه الفترة؟.

\*\* كلفتُ واثنان من الإخوة بصد هجوم صهيوني كنا قد علمنا به مسبقًا، على أن تلتف قواتنا لتطويقهم من الخلف، وكان أمرًا جنونيًّا أن يقوم ثلاثتنا فقط بهذا العمل، إلا أننا نفَّذنا الأمر وانتظرنا قدوم الصهاينة لكنهم لم يأتوا.

\* كيف تعاملت الحكومة المصرية وقتها مع هذه الأحداث؟.

\*\* بعد علم الحكومة المصرية بانتصاراتنا أوفدت قائد الجيش اللواء المواوي لرؤية ما خلفته المعارك، ولما رأى ما نحن عليه من نصر قال مندهشًا: "أنتم إما مجانين أو متفقين مع اليهود"!!، وغادَرَنا مع وعد منه بإحضار عشرة آلاف مقاتل من النظام الخاص لدعمنا.
وبالطبع استمرت الحكومة في الرفض وأقالت المواوي واتهمته بالتعاطف معنا وعيَّنت أحمد فؤاد صادق الذي خاطب الأخ كامل إسماعيل الشريف بسحب قوات الإخوان إلى "البريج".

\* وكيف كان ردكم وقتها وأنتم وسط ميدان المعركة؟ وهل انصعتم للأمر؟.

\*\* حقيقةً.. كنا في حيرة شديدة ما بين رغبتنا في مواصلة جهادنا ورغبتنا في عدم الاصطدام بالجيش، وقد حسمنا أمرنا بسحب القوات كما طُلب منا حقنًا للدماء، واستغل الصهاينة الأمر فهاجموا الجيش المصري والذي لجأ قادته إلينا لنصرتهم، وكان الجيش المصري قد أحاطنا بدباباته بعد انسحابنا وكأننا أعداؤه وليس الصهاينة، ولكننا رغم ما فعلوه بنا لَبَّينا نداء الجهاد وصددنا الهجوم عنهم، حتى إن الجيش قلَّدني نوط الجدارة الذهبي، وبعدها قامت الحكومة بحملة اعتقالات واسعة للإخوان تمهيدًا لاغتيال الإمام!.

اغتيال الإمام البنا

الإمام حسن البنا

\* بالتأكيد كان نبأ اغتيال الإمام البنا فاجعة هزت العالم الإسلامي.. كيف كان وقعه عليكم؟.

\*\* حزنت بشدة لرحيل الإمام البنا، حتى إنني كنت برفقة بعض إخواني في زيارة شقيقتي، فلما رأت حزني سألتهم: "هو أخوكم ما له"؟، فأجابوها بقولهم: "أبوه مات"!، وحقيقةً لم أشعر بالحزن على والدي مثلما شعرت به على إمامنا، عليهما رحمة الله.

ولكن رغم الفاجعة لم أتوقف لحزني، بل خضت معارك أخرى، فجاهدت في حرب القناة 51 واعتقلت خمس مرات، وفي 54 مكثت في السجن الحربي عشرين شهرًا على خلفية "مسرحية" المنشية، وخرجت عام 56 لأحارب في قناة السويس، وفى ذلك الوقت رفض الجيش انضمامنا كجنود فعرضنا عليهم تدريب القوات إلى أن وصلت وشاية بأننا نُعِدُّ لقلب نظام الحكم، وقد اعتقلت مرة أخرى عام 81.

\* وكيف تعاملت أسرتك مع كل هذه الأحداث المتتابعة التي مررتم بها؟.

\*\* رفع إخوة زوجتي دعوى طلاق ضدي، وبالفعل تم التنفيذ، وكانت زوجتي وقتها تحمل ولدي في رحمها فترة اعتقالي وأنجبته وأنا في فلسطين، ولكني تزوَّجت مرةً أخرى ورُزقت بستة من البنين وبنتين، ولي منهم أحفاد يتقلدون الآن مناصب علمية رفيعة بفضل الله.

\* إذا انتقلنا إلى الحديث عن ذكرياتكم مع شهر رمضان.. كيف كان الإخوان يتعاملون معه؟.

\*\* كنا نعكُف على العبادة والأنشطة المختلفة من كفالة الأيتام والصلح بين الناس وغيرها، وبالطبع رمضان قبل أن أعرف الإخوان ليس كما عرفته معهم؛ فأنا لم أعرف التعمق في العبادة إلا معهم؛ فرمضان بغير الإخوان روتين ليس أكثر.

\* كم كان عمرك حينما صمت أول رمضان؟ وهل كان الأمر شاقًّا عليكم؟.

\*\* كنت في الخامسة، وأكملت صيامي كله، وعلى العكس فقد كنت سعيدًا بذلك.

\* هلا أخبرتنا عن موقف لا تنساه تعرضتم له في رمضان؟.

\*\* كنا في ذلك الوقت في المعتقل، وكنت إمامًا لإخواني في الصلاة، وبدلاً من تحسن المعاملة في هذه الأيام الكريمة إلا أننا فوجئنا بالسجانين يدخلون علينا ذات يوم وينهالون علينا ضربًا بالعصي الغليظة، ولكن الله ثبتنا فكان شعارنا قول ابن تيمية: "قتلي شهادة، ونفيي سياحة، وسجني خلوة".

\* كيف يقضي الحاج عويس يومه في رمضان؟.

\*\* أبدأ يومي بصلاة الفجر، ثم آخذ قسطًا من الراحة، وأقضي بقية يومي مع إذاعة القرآن الكريم، أما عن القراءة فنظرًا لظروفي العُمرية لم أعد أقوى عليها.

حصاد الرحلة

بعد هذه الرحلة الشاقة من الجهاد والعطاء والتجارب القاسية، ما الذي خرجتم به؟.

\*\* أولاً: أنه لن تموت نفس حتى تستوفيَ رزقها وأجلها.
ثانيًا: على المسلم أن يكون مع الذين بايعوا ربهم، وألا يمسك العصا من المنتصف ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: من الآية 10).
ثالثًا: أن مَن جاهد في سبيل الله لا بد أن يوقن أن الله لن يترك أهله؛ فقد ذهبت مؤخرًا إلى محافظة بني سويف لزيارة أحد شهدائنا والاطمئنان على أهله ووجدتهم في أفضل حال بفضل الله عز وجل.

\* هل تستشعرون فارقًا بين الرعيل الأول والأجيال الحالية؟

\*\* حقيقةً.. أنتم الآن أكثر ثباتًا منا نحن الرعيل الأول؛ فانضمامنا إلى الإخوان كان في فترةٍ لا تذخر بالابتلاءات كما هو الحال الآن؛ فالمعتقلات مفتوحة والأوضاع شديدة السوء وما زلتم تصرون على نصرة دعوتكم، أسال الله لكم الثبات.

\* ختامًا وبعد هذه الصعاب والمشاق الكثيرة التي مررتم بها.. هل يمكنك القول: لو لم أكن من الإخوان لوددتُ أن أكون منهم؟.

\*\* أجاب بكلمات تقطر فخرًا: بالطبع؛ ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ (الأعراف: من الآية 43)، ولو عاد بي الزمن لبذلت أضعاف ما قدَّمت.**